

## أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

عَلَيْنَا أَنْ نَتَذَكَّرَ مَسْئُولِيَّتَنَا تِجَاهَ تَرَاثِنَا فَنَقُومَ بِمَا تَقْتَضِيهِ هَذِهِ الْمَسْئُولِيَّةُ مِنَّا، مِنَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى هَذَا التَّرَاثِ الْعَظِيمِ وَالْعِنَايَةِ بِهِ. وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْجِدِّ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ مَلَاهِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبِالسَّعْيِ وَرَاءَ الْقِيَمِ الْعُلْيَا الْحَقِيقِيَّةِ. أَلَا وَإِنَّ طَرِيقَ ذَلِكَ التَّعَلُّمِ وَالتَّعَرُّفِ.

### أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ،

لَا بُدَّ لِمُعَالَجَةِ هَذَا الْوَاقِعِ مِنَ الْبَدْءِ بِأَمْرِ مَا. وَاسْتِشْعَارًا بِهَذِهِ الْمَسْئُولِيَّةِ، أَوْلَتْ مُنْظَمَتُنَا عِنَايَةً فَائِقَةً لِمَجَالِي التَّعْلِيمِ وَالْإِشْرَادِ، وَقَامَتْ خِلَالَ الْعَشْرِ سَنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ بِإِحْيَاءِ مَوْسَسَاتٍ عَدِيدَةٍ تَخْدُمُ الْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ بِفَضْلِ صَدَقَاتِكُمْ أَنْتُمْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ الْغُيُورِينَ عَلَى مُسْتَقْبَلِ الْأُمَّةِ. فَرَجُو اللَّهَ تَعَالَى أَنْ تُشِيرَ هَذِهِ الْجُهُودُ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ عَنِ عُلَمَاءِ، وَأَطْبَاءِ، وَمُحَامِلِينَ، وَقَادَةِ الرَّأْيِ، وَمُهَنْدِسِينَ، وَإِعْلَامِيِّينَ مُسْلِمِينَ. إِنَّا كَمُسْلِمِينَ فِي الْعَرَبِ أَنْشَأْنَا فِي أَوْرُبَا إِلَى الْيَوْمِ، مَا يُمَكِّنُ أَنْ نُسَمِّيَهُ بِالْقَاعِدَةِ وَالْبِنْيَةِ الْأَسَاسِيَّةِ، مِنْ مَسَاجِدَ عَدِيدَةٍ وَمَعَاهِدَ لِتَحْفِيزِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمُرَافِقَ أُخْرَى كَثِيرَةٍ. وَالْآنَ حَانَ الْوَقْتُ لِأَنْ نَخْطُو خُطَى أَكْبَرَ وَنُشِئَ مَرَاكِزَ تَعْلِيمِيَّةً وَمَدَارِسَ رَسْمِيَّةً كُبْرَى. وَإِنَّا نَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنْ أَرَانَا طَلَائِعَ هَذِهِ الْمَشَارِيعِ. فَالْيَسْتِ مَدَارِسُ الْأُمَّةِ وَالْخُطْبَاءِ، وَالْمَرَاكِزَ التَّعْلِيمِيَّةِ، وَمَعَاهِدَ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَجَامِعَةَ أَمْسْتَرْدَامِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمَدْرَسَةَ الْإِلَهِيَّاتِ الْمُهَنِئَةِ بِمَآئِزِ، لَيْسَتْ هَذِهِ إِلَّا بَعْضَ نَمَازِجَ مِنَ الْمَوْسَسَاتِ الْكَثِيرَةِ. لَقَدْ أَنْجَزْنَا كَمُنْظَمَةٍ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْفِيقِهِ إِنْجَازَاتٍ كَبِيرَةً حَتَّى الْيَوْمِ. وَنَحْنُ نُؤْمِنُ إِيمَانًا تَامًا بِأَنَّ سُنْحَقُ هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا مَشَارِيعَنَا التَّعْلِيمِيَّةِ، بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلِهِ أَوَّلًا، ثُمَّ بِدَعْمِكُمْ أَنْتُمْ إِخْوَانِنَا الْكُرَمَاءِ. فَنَبْلُغُ جَمِيعًا سَعَادَةَ إِقَامَةِ هَذِهِ الْمَوْسَسَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ وَالْمَعَاهِدِ التَّحْفِيزِيَّةِ الْجَدِيدَةِ لِأَوْلَادِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا مِنْ وَرَائِنَا. أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَقْبَلَ مِنَّا جَمِيعًا صَدَقَاتِنَا وَأَنْ يَجْعَلَهَا ذُخْرًا لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنْ يَكُونَ سُبْحَانَهُ رَفِيقَنَا وَمُعِينَنَا فِي هَذَا السَّبِيلِ.



إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ قَائِمٌ عَلَى رُكْنَيْنِ أَسَاسِيَيْنِ، هُمَا الْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ. وَلَا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ كَلِمَةٍ ﴿افْرَأْ﴾ أَوَّلَ كَلِمَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَمَا أَشَارَتْ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى آيَاتٌ كَثِيرَةٌ تَكَلَّمَتْ عَنِ الْخَالِقِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَعَنْ سَبَبِ الْخَلْقِ وَأَطْوَارِهِ، وَآيَاتٌ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا بِالْقَلَمِ، إِحْدَى أَدْوَاتِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ. يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُبِينًا هَذِهِ الْحَقِيقَةَ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>1</sup> وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ فِي الْآيَاتِ الْأُولَى نُزُولًا مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿افْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* افْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>2</sup> كَذَلِكَ نَبَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى قِيَمَةِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ حِينَ بَيَّنَّ عُلُوَّ مَنْزِلَةِ الْعُلَمَاءِ مِنْ عِبَادِهِ وَقَالَ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾<sup>3</sup> وَقَالَ عَنْهُمْ أَيْضًا: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>4</sup> وَنَبَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمَّتَهُ كَذَلِكَ إِلَى الْمَسْئُولِيَّةِ الَّتِي تَقَعُ عَلَيْهِمْ تِجَاهَ الْعِلْمِ بِكَلِمَةٍ وَجِيزَةٍ جَامِعَةٍ إِذْ قَالَ: «طَلَبَ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»<sup>5</sup> وَقَالَ: «مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ كَانَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ»<sup>6</sup>

### إِخْوَتِي الْكِرَامُ،

إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثَ الْكَثِيرَةَ الَّتِي تَحْتُنَّا عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَالَّتِي نَقْرُوهَا أَوْ نَسْمَعُهَا فِي مَنَاسِبَاتٍ كَثِيرَةٍ، لَتَدْعُونَا إِلَى أَنْ نَقِفَ فَنَتَسَاءَلَ: أَيْنَ عُلَمَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ أَيْنَ فُقَهَاؤُهَا وَمُؤَرِّخُوهَا وَمُفَكِّرُوهَا وَالْمُصْلِحُونَ الرَّبَّانِيُّونَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ لَيْلَ نَهَارٍ فِي سَبِيلِ هِدَايَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ لَقَدْ قَامَ الْعُلَمَاءُ الْمُسْلِمُونَ فِي الْعُصُورِ الْمُتَقَدِّمَةِ بِدَوْرٍ كَبِيرٍ وَفَعَّالٍ فِي تَطْوِيرِ الْعُلُومِ، فَكَتَشَفُوا وَاخْتَرَعُوا وَخَدَمُوا سَائِرَ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ. وَلَكِنْ مَا حَظَّنَا نَحْنُ مِنْ ذَلِكَ؟ هَلْ نَقِفُ عِنْدَ الْأَسْتِمَاعِ إِلَى سِيرِهِمْ وَإِنْجَازَاتِهِمْ وَنَتَسَلَّى بِذَلِكَ؟ كَلَّا! لَنْ يَتَغَيَّرَ هَذَا الْوَضْعُ الْمُنْكَوسُ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ إِلَّا إِذَا أَقْبَلْنَا عَلَى التَّعَلُّمِ وَعَكَفْنَا عَلَيْهِ وَوَجَّهْنَا الْجَهْلَ بِطَلَبِ الْمَعَارِفِ.

4 سورة الزمر: 9

5 سنن ابن ماجه، رقم الحديث (220)

6 جامع الترمذي، كتاب العلم، 2، رقم الحديث (2571)

1 سورة الجمعة: 2

2 سورة العلق: 1-5

3 سورة المجادلة: 11